

واجب الحكومة وواجب الأفراد

نحو مكافحة العمى فى مصر

لحضرة صاحب العزة الدكتور محمود عزمى القطان بك

أستاذ الزهد وكاتبه الطيب ونعسو المؤتمر الدولى لمكافحة العمى

لا يخفى أن مكافحة العمى موضوع أخطبوطى يرسل أطرافه فى شتى نواحي الإصلاح القومى ، ففى نسبة عدد العميان فى أمة ، لا رمز لها هى عليه من صحة وثقافة ورغد ونظام ولا أدل على هذا من أنه من باب الدعاية للحكومة الفاشستية الإيطالية أن تقدم مندوبو إيطاليا للمؤتمر المنعقد فى نيويورك عام ١٩٣١ بإحصائيات عن نقص عدد العميان فى إيطاليا بعد الحكم الفاشستى بنسبة كانت موضوع النقد والاشتباه . وقد كانت الدول العظمى فى ذلك المؤتمر تتسامى بعضها على بعض بقلة عدد العميان فى بلادها رمزاً إلى رقيها ومدنيتهما ، وقد مثلت فى المؤتمر المذكور نسبة العمى فى ست وثلاثين دولة بحفظوط عمودية فكانت مصر لسوء الحظ تحظى بأعلى خط فيها . ولقد هالتنى عندما ذكرت ذلك للمرحوم الدكتور أوسبورن الرمضى بالاسكندرية أن أبى أخبرنى أنه عند ما قدم إلى القطر المصرى عام ١٨٨٠ وافتتح عيادته الخاصة أن كان من النادر أن يجد مصرىاً سليم العينين الاثنين . ومنذ بضع سنوات اتصل بعلمى كثيرة عدد العميان فى الواحات الداخلة وخصوصاً فى بلدة القلامون فسأرت إليها بصحبة صديق الأستاذ محمد خليل عبد الخالق بك ولما خضعت أهل تلك القرية وجدها جديدة بأن تدعى بلدة العميان كما دعى القطر المصرى عامة فى القرن الماضى بلاد العميان . لقد رأيت فى قرية القلامون بالواحات الداخلة صورة متغيرة للتي رسمها لى المرحوم الدكتور أوسبورن عن مصر فى القرن الماضى ووجدت أن السبب الأكبر فى فقد الأبصار راجع الى مضاعفات الأرماد الحادة كما هى الحال فى كافة أنحاء مصر إذ هى تسبب ما يقرب من ٨٠ فى المائة من فقد الأبصار .

وما الفرق بين الحال التسعة التى رأيت عليها أهل تلك القرية وبين الحال التى عليها سائر بلاد الوادى الآن إلا راجعاً لتمتع بلاد الوادى بالعلاج الرمضى المنتظم وحرمان الواحات الداخلة منه إلى ذلك الحين . فما لاشك فيه إذن أن انتشار المستشفيات الرمضية قد أفاد

البلاد فائدة عظمت حتى قلت نسبة العميان عن مستوى القلامون إلى المستوى العام في البلاد. وأن الواجب الذي قامت به الحكومة المصرية منذ عام ١٩٠٣ بنشر المستشفيات الرمدية في أنحاء البلاد لوجود مشكور حتى أصبح مثلاً أعلى تستطيع البلاد العربية الأخرى أن تحتذيه. ولكنه لم يصل بعد حد الكمال إذ من الواجب تيسير العلاج في صميم القرى لا أن نطلب من القروى المسكين أن يحضر إلى أقرب مستشفى له يومياً للعلاج من قريته التي قد تبعد عشرة أو خمسة عشر كيلو متراً وأكثرهم يحضر مشياً على الأقدام.

فواجب هو نشر مراكز الاسعاف الطبي في القرى ليقوم بالخدمة في كل منها طبيب غير اخصائى لمكافحة الأمراض المتوطنة جميعها وبينها الأورامد على أن يعمل على إرسال الحالات الشديدة إلى أقرب مستشفى رمدى لكي يقيم به المريض حتى يشفى. وإن قسط التعليم الرمدى الذى يحصل عليه خريج كلية الطب المصرية لهُ كفيل بأن يجعل من هذا الطبيب أداة نافعة لمكافحة العمى على النحو الذى ذكرته. ولن أدخل في تفاصيل مراكز الاسعاف من حيث العدد اللازم منها أو كم قرية أو كم عدد من السكان يكفيهم أحدها فذلك من اختصاص وزارة الصحة تقدره بعد الدراسة والتجسس، غير أنى أقترح أن تكون مراكز الاسعاف غاية في البساطة وقلة التكاليف مع النظافة النموذجية وبها ممكن مكون من غرفتين واللوازم للطبيب حتى تشجع الشبان على الإقامة في صميم الريف لزمن ما بعد تخرجهم وإلا فشل المشروع.

إن وافدنى الأورامد الحادة اللتين تظهر أولاهما في أوائل فصل الصيف وثانيتهما في نهايته تجعل من هذا الفصل وقتاً خطيراً كل عام على أعين سكان البلاد وخصوصاً الأطفال. وكلنا نعلم كيف تحتشد الحالات حتى تكتظ المستشفيات في ذلك الفصل. فإذا ما توافر للبلاد مراكز الاسعاف في القرى فإن ذلك زيادة عن الفائدة العظمى التي تيسر للفقير العلاج على مقربة منه فأنها تقلل من الضغط على المستشفيات التي لا تزال مسئولة عن علاج المضاعفات كالقرح وخلافه. وحيث إن عدد الأسرة بالمستشفى لا يفي غالباً بإيواء هذه الحالات مدة الصيف بينما تكاد تكون خالية مدة الشتاء في كثير من البلاد فلا لهذا المشكل هو أن يدرج لميزانية المستشفى ما يكفي لإقامة سرادق كبير من الحصير الدماطى قسم منه للرجال وقسم منه للنساء مع الأطفال أشبه بالمشى الاقتصادية التي تقام كل عام بمصيف رأس البر وتوضع به أسرة من العنجرب الرخيصة التكاليف فبذلك قد تزيد أسرة المستشفى إلى مائة وزيادة في فصل الصيف دون مصاريف كبيرة. وعند نهاية موسم الأورامد في شهر نوفمبر تحزن هذه الأدوات الإضافية بخزان المستشفى حتى شهر أبريل. وفي كل مستشفى رمدى تقريباً أرض فضاء تصلح لهذا الغرض وإذا لم يكن ذلك داخل المستشفى

فليكن ملاصقا في الحقل المجاور وقد يكون من بعد النظر أن تشتري هذه الأرض من الآن بسعر القدان الزراعى فى كثير منها قبل أن يعلو السعر مستقبلا وتعتبر أرضا للبانى .

وبما أن الأرماد الحادة ، تنتشر انتشارا عظيما مدة الصيف ، وتقل كثيرا فى الشتاء ، فأتى أقترح على وزارة الصحة أن تعدل من نظام الإجازات السنوية للأطباء الرمديين . إذ ليس من المعقول ، أن تكون الإجازات صيفا ، فى الوقت الذى هى أحوج إلى أضعاف الأضعاف من أطبائها ، لمكافحة هذه الوافدات . فإجازات الأطباء الرمديين الاعتيادية يجب أن تكون شتاء لا صيفا .

إنه بالرغم من الجهود العظمى ، الذى يبذل لعلاج الأرماد وحلافها ، مما يسبب فقد الأبصار ، فإن نسبة العميان فى البلاد ، لاتزال عالية للغاية ، كما ذكرت فى صدر خطابى . نسبة ، لاتتفق وكرامة أمة ناهضة ، تنشذ الحياة ، بعد أن بعثت من رفدة القرون . إن هذه النسبة العالية ترجع الى أن مكافحة العمى فى البلاد لم تأت إلا من طريق العلاج الطبى فحسب وقد نسيتنا أو تاسينا الكفاح الأكبر عن طريق رفع المستوى الفكرى والمادى بين طبقات الشعب الفقيرة التى تتكون نسبة كبرى من سكان هذه البلاد . فقلة النظافة

وانتشار الذباب الذى يحمل العدوى والجهل الذى يدعو الى التوكل والاستماع الى الوصفات الصارة . والفقر الذى يخرم بعض البؤساء منهم قرشا يوصله الى المستشفى تصعب من قيمة الجهود الطبى العظمى . فواجب الحكومة اليوم إن أرادت مكافحة جدية لا للأرماد فقط ولكن لجميع أمراض البلاد المتوطنة واجب اجتماعى قبل أن يكون طبيا . فكلما ثقلت كفة الميزان للاتفاق على تحسين المستوى خفت كفت الميزان الأخرى فيما يتفق على علاج مستمر . إن

الاصابة بالرمد لا تهب المريض مناعة ضد إصابة أخرى . فمن أجهز أن يعالج المريض فى هذا العام وكذا فى العام المقبل والذى يليه ولا فائدة فى التصريح له إذ ليس من المعقول أن نجد له أذنا صاغية لاتتبع الإرشادات التى قد يلسم عند سماعها . فما الفائدة من الإرشادات مادام السواد الأعظم من فقراء هذا الشعب ليس فى متناولهم ماء صالح ، ولا صابون ولا بشكير ولا فراش ويعيشون رزما آدمية مكدمين مع رزم الحيوان جنبا الى جنب غارقين فى لبحج الميكروبات والذباب والحشرات الأخرى . واجب الحكومة هو أن تبدأ فى إصلاح الحال وأن تؤمن بالنجاح وإن كان ظاهره صعبا فإن البدء ، فى العمل أشق مراحل العمل . وهذه هى المستشفيات الرمدية ، كم قيل عند البدء بها ، إن المرضى لن يقبلوا عليها بسبب الحرافات ، وخوفهم من الأطباء فاذا هى الآن مكتظة بالملايين يأتون إليها من كل فج ، وهذه هى المدارس التى عندما أنشأها مجدد مصر محمد على العظم كان الأهالى يبيكون ويولولون على أبنائهم عند التحاقهم بها فاذا هم يترامون عليها الآن ويدفعون مالا طاقة لهم به من المصروفات المدرسية .

وهذه مدارس البنات التي كان دخولها عيبا في شرف العائلة قد اكتظلت بنات كافة الطبقات حتى كثرهم رجعية .

فان أعوز الحكومة المال لتنفيذ برنامج الإصلاح اقمى فلتجاهد وتفكر ولتبتكر كيف تحصل عليه باليمن والتمال وكيف تنفذ كثيرا بانفاق قليل وكيف تعي قوى البلاد لمحاربة الجهل والانعطاط وأن تجند من شيائها قوة التنفيذ ومن شيوخها التجربة والحكمة ، وأن لا تتوانى عن رفع هذا الشعب إلى ذروة ماضيه ، ولو سئلت كيف نبدأ بالإصلاح الاجتماعي لأجبت - ولو أتى درجت طبيبا - ولكني أستنه من رؤس المرضى الذين ألقاهم في صبيحة كل يوم بطليعة عملي في ساحة المستشفى أن المشكلة متعددة النواحي من صحية وثقافية وتشريعية واقتصادية وهندسية واجتماعية ، فليس نفرد إذن أن يكون وحده رأيا ماضيا ، فلعل هذه المشكلة التي يتوقف عليها مستقبل الشعب المصري وكيانه وجب أن يكون هناك مجلس أعلى للشؤون الاجتماعية لعرض وتمحيص الآراء العملية على مجلس الوزراء حتى تكلف كل وزارة قسطها من العمل على رفعة مستوى الشعب .

ليس من شأني أن أنتقد النظم ، ولكني أردد صدى ما يقال في الأوساط لأجنية عنا أب. في هذه البلاد غنى فاحشا في اليد قليلة ، وفقرا مدقعا في المجموع ، فاذا نحن نعيشها بالديموقراطية ، وإذا نحن اتعظنا من سيراندول ، كان لزاما علينا أن نجعل بالإصلاح .

إن بين ظهرانينا عدوا خبيثا هو الذباب ، وواجب الحكومة يقضى بمكافحته جديا ، بزيادة الأهمية في النظافة العامة ، وجمع القمامة وإعدامها بطريقة أوفى مما هي عليه الآن ، وواجبها أن تعطى درسا لموظفيها لاتقاء الذباب بوضع شبك خيطية على فتحات مبانيها لاتقاء الذباب ، لكي يقلدها الموظفون والأهلون في مساكنهم ، وواجبها نشر الدعاية ضد الذباب ، ونشر الدعاية ضد التواكل في علاج الأمراض الخطيرة على النظر دعاية واسعة في كل مكان ، في المدارس والمستشفيات ، في المحطات والأسواق ، في القطارات وفي المجالات وفي الجرائد وبالمذياع ، وفي دور السينما ، وفي خطب الجمعة وخطب الوعظ ، حتى يعم النشر ويثبت في الأذهان قيمة هذه التعاليم .

وواجب الأفراد هو الاستماع إلى النصيح الذي تصدره هذه النشرات وخلافها لحماية أنفسهم وذويهم من الأمراض وأن لا يتواكوا في العلاج بل يسرعوا إليه ما استطاعوا وواجب الخاصة هو أن لا يجاربوا الضرائب اللازمة لرفع حال الفقراء من مواطنيهم لأننا لو نظرنا من الوجهة المادية فقط لوجدنا أن العدو الذي تعمرف الفقراء تصل اليهم لقللة النظافة العام بواسطة الذباب مثلا . فلو أن ضريبة للنظافة العامة قد فرضت على الأغنياء

لوفرت عليهم قيمة العلاج الذى قد يربو على الضريبة . فخير أن ينفق المبلغ لمنع المرض عن أن ينفق أكثر منه لرفع البئوى بعد وقوعها . أما إذا نظرنا إلى الموضوع من وجهته الأدبية فإنى أذكر أغنياءنا بأن لاجاه ولا كرامة إذا لم تكن قومية . وأذكرهم بأن حال المسكنة التى عليها الملايين من مواطنهم تمحو كل كرامة وكل عزة وإنى أذكرهم بما قال الشاعر :

إذا أنا سدت ونى موطن ذليل فإنى بالنسب

إن واجب الخاصة الاجتماعى هو أن يساهم كل منهم فى جمعية من الجمعيات التى تعمل لخير البلاد فإما أن يساهم بالمال أو بالعمل فى وقت فراغه وإما بالرأى . وهذه جمعيات شباب الجامعة لنشر الثقافة والتعليم . وهذا هو البوليس الخاص قد يكون أداة للتفتيش على النظافة العامة ، وهذه مدرسة الشؤون الاجتماعية تعد الملتحقين بها للخدمات الاجتماعية المستقبلية بالمستشفيات والزيارات الاجتماعية . وهذه فرق الزواد وهذه الجمعيات الخيرية المتعددة تحتاج إلى المعونة والمال .



وإن المراكز الاجتماعية بالريف لى جدرة بالمعونة القصوى من جانب الحكومة، وحيثات اخيئات والأفراد فإن نشرها واستكمالها بالقرى وفى الأحياء الفقيرة من العواصم لمشروع حيوى للبلاد . وأقترح على وكالة الشؤون الاجتماعية أن تعمل على الدعاية له فإنى أعترف بأنى لم أعلم به شخصيا إلا صباح اليوم وإذا كان المقصد هو تجربة المشروع أولا فإنى أؤكد أن نجاحه لا يمكن الشك فيه ما دام قائما على إمساعد القوم من كافة النواحى مع بساطة المطهر وقلة التكاليف .

إن واجب الحكومة أن تعلن الحرب على الأمراض المتوطنة فتتفع بجيشها النظامى وجيشها المرباط فتدفع هذه القوة الكامنة التى تتفق عليها الملايين فى كل عام إلى العمل للإصلاح العام فى وقت السلم ولا إحال حيثنا الذى قام بمد انسكك الحديدية فى السودان وإقامة المباني العامة به يضمن على وطنه الأول بهذا العمل الشريف العظيم .

إن أمة ناهضة كهذه الأمة واجب عليها أن تشعر بالمصائب التى هى فيه من كثرة عدد العميان . فعلىنا جميعا حكومة وحيثات وأفرادا أن نتعاون فى انكفاح لحافضة على سلامة الشعب المصرى فى أدق ما وهب الله الإنسان من حواس . الواجب على الأفراد أن يخفوا لمعاونة الحكومة بالمال وبالسواعد وبالمعرفة كى لا تعجز عن القيام بما يطلب منها للنهوض بالبلاد .

دكتور

محمود عزمى "نقطان